البزّ

The Barbus Esocinus

١ — ﴿ تمهيد ﴾ البز بكسر الباء الموحدة التحتية وشدّ الزاي ، سمك عظيم يكون في الرافدين (أي دجلة والفرات) ، وأغلب ما يكون في الزاب الصغير أحد روافد دجلة في الشمال ، لأنه يجد فيه نقراً وأحواضاً ومغايض ، فيسْرأ فيه ويفرخ ، لأن ماءه هادئ ومطمئن ، وينحدر كثيراً الى دجلة ، وأحياناً الى الفرات ، فيصاد عند انحداره الى الرافدين ، وكثيراً ما يكون ضخماً ، قد يزن من خمسين الى مائتي كيلو غراماً ، إذا بلغ أشده ، أو بلغ عمره ستة أعوام فأكثر .

٢ — ﴿ أصل البزّ البيس ﴾ البز ، اسم معروف من شمالي العراق الى جنوبيه ، ومن شرقيه الى غربيه ، وعند جميع الأقوام من عرب وكرد وفرس وأرمين ، ومسلمين ونصارى ويهود ، بلا أدنى خلاف أو أدنى تغيير ، لكننا لا نجد له أثراً في الأسفار القديمة . والمظنون أنه لم يكن هذا الاسم معروفاً في قديم الزمان ، والذي وجدناه (البيس) ، بكسر الباء الموحدة التحتية ، وسكون الياء المثناة التحتية ، وفي الآخر سين مهملة . هكذا ذكره دوزي المستشرق الهولندي في تآليفه الملحق بالمعاجم العربية في مادة (ب ي س) ، ولم يشر الى البز ، على ما ذكرناه هنا ويعرفه به العراقيون . فقد قال في المادة المذكورة ما هذا نقله الى لغتنا : « بيس ضرب من سمك النهر . جاء ذكره في مخطوط يرى في الاسكوريال ، رقمه ٨٨٨ العدد » . والذي أفادني هذه الفائدة الاديب م . سيمونه ، ويظن انه من الاسبانية . P . بمعنى سمكة » ا هـ .

ويصف دوزي هذا المخطوط في مقدمته بقوله : « انه كتاب منافع الحيوان لعليّ بن محمد أبي الفتح بن الدُّرَيْهِم الموصلي المتوفى في بغداد سنة ٧٦٣ للهجرة » = (١٣٦١ م) فلا جرم ان هذا العراقي كان يعرف معرفة صحيحة اسم هذا الحوت الذي هو أعظم حيتان البحرين .

٣ — ﴿ اسم البزّ القديم هو الحِسْرِيّ ﴾ على ان البزّ أو البيس لا يعرفهما فصحاؤنا

الأقدمون في عصر العباسيين في صدر الخلافة، ولا ذكروها في تآليفهم ولا في معاجمهم. وكذلك لم يعرف هـذين الاسمين الارميون، ولا الفرس، ولا الترك، ولا الكرد الذين كانوا مبثوثين في تلك الديار من قديم الزمن.

والذي كان معروفاً عنـد بني عدنان (الزَّجْر)، بزاي مفتوحة وجيم ساكنة وفي الآخر راء. ويقال فيه أيضاً (الزجر)، بفتح الجيم. ويعرف عند الارميين بلفظ (زجرا) بزاي مفتوحة وجيم ساكنة يليها راء وألف. ولم يصفه لنا أحد من لغويهم، فذكره برعلي وبربهلول ومن أخذ عنهما بقولهم: «سمك عظيم في دجلة» ومن لغويهم من لم ينوّه باسم دجلة، بل قال: «سمك عظيم الجثة صغير الحرشف» — وهو لا يوافق إلا البزّ.

وأما لغويونا فقـد قالوا: «الزجر، بالفتح، كما هو مقتضى سياقه (أي سياق كلام الفيروزابادي)، وضبط الصاغاني بالتحريك: سمك عظام، صغار الحرشف، ويحرّك. ج: زجور هكذا تتكلم به أهل العراق. قال ابن دريد: ولا أحسبه عربيًّا (صحيح الاصل)» اهـ.

٤ — ﴿ اسم البز عند الفرس والترك ﴾ توهم بعض اللغويين الذين يحسنون العربيـة والفارسية أن الزجر مشتق من مصدر زجر الكلبَ يزجره زجراً، وزجر به زجراً: نهره. وتوهموا أن السمك المعروف بالزجْـر هو كلب البحر لهذا السبب. وقالوا: اسمهُ بالفارسية «الشّيم والسّيم» بكسر الشين المعجمة أو السين المهملة على السواء. ولهذا قال صـاحب الجمهرة: الزجر ليس عربيًّا، ونحن نقول أن اسمهُ بالارمية والعربيـة من أصل أشوري ومعناهُ: العالي المرتفع الضخم الخلق وهي صفة هذا الحيوان المائي.

أما الترك فيسمونه كما سماهُ الفرس بلسانهم أي «كوبك بالغى» الذي معناه سمك الكلب. والذين يعرفونهُ بهذا الاسم غير الترك الحاليين الذين يجاورون دجلة، بل الترك أرباب الأدب والتصانيف. أما الترك الحاليون فيسمونهُ باسمه العربي (البزّ) وممن ذكرهُ باسم كوبك بالغى صاحب الاوقيانوس عاصم جلبي ناقل القاموس.

على أن صاحب (برهان قاطع) قال: الزجر هو الشيم بالفارسية. قلنا: وهـذا اسمهُ بالفرنسية silure وهو غير البز عنـدنا. ومثل هذا القول قال صـاحب مقدمة الأدب (الزمخشري) وهذا نصهُ: «زجر (بالفارسية): ماهي شيم». والزمخشري حجة ثقة في لغتنا، كما أنهُ حجة ثبت في الفارسية. وعليه: لم يكن علامتنا يحسن علم الحيوان من ذوات الاربع والطير والحشرات والسمك، وهو غير عجيب لأن الاقدمين كانوا يحسنون اللغة دون علم الحيوان ولا علم النبات ولا علم المعادن، إذ كانوا يعرفون شيئاً ويجهلون أشياء.

زد على ذلك أن العلماء لا يتمكنون من الوقوف على جميع العلوم فهذا محال، أو قد

بزل العالم كما قد يكبو الجواد وإن كان أصيلا ، وقد ينبو الحسام وإن كان جُرازاً . وهناك أمر آخر هو أن الكلمة الواحدة قد تدل على حيوانين أو ثلاثة أو أكثر ، فإن الغيلم يعني الضفدع والسلحفاة الذكر والعلوش كجعلموز : الذئب ، وقيل : ابن آوى ، ودويبة وضرب من السباع . — والعلجوم : الضفدع الذكر ، والقراد ، والظبي الآدم ، والظليم ، والكبش والوعل والثور المسن ، والبطة الذكر ، وطائر أبيض هو النجع عند أهل العراق والشديدة من الابل ، وقيل خيارها . وعليه قد يكون الزجر من هذا القبيل .

٥ — ﴿ من أي لغة جاءتنا البز أو البيس ﴾ رأينا أن الاصل لكلمة الزجر هو الآشورية، فن أي لغة جاءتنا البز المنقولة عن البيس ؟ .

ذكرنا عن دوزي أن البيس في نظر سيمونة Simonet من الاسبانية Pez أي سمكة ونحن لا نوافقه عليه لأسباب منها :

إن البز أو البيس معروفة في العراق وغير معروفة في الاندلس ، والاسبانيون لم يتصلوا بأهل العراق حتى يأخذوا عنهم ألفاظاً ، إذ لم يأخذوا منهم كلة واحدة .

الثاني : إن الكلمة الاسبانية تعني السمكة أية كانت غير خاصة بجنس أو نوع أو ضرب .

الثالث : ان الذي ذكر هذه الكلمة كاتب موصلي لم يعش في الاندلس ولم يكن في ديار الغرب حتى يستعير منهم حرفاً من حروفه، فلم يبق لنا إلا القول بأن الكلمة منقولة عن لغة قوم كانوا في العراق غير الاسبانيين الذين لم يكونوا في ربوع الجزيرة أو ديار بين النهرين يوماً واحداً .

والذي نراه نحن أن البيس أو البز مأخوذة من اللاتينية (بربوس[1] أو بربيس Barbus وهو

---

(١) قلب الواو ياء أكثر من أن يحصى ، ان في الالفاظ الاعجمية وان في العربية الصميم ، ولا نقل الدميمة كما يقول النبر بهر خطأ) . فقد قالوا في نقل الاعجمية صور وهي Tyr وقالوا اشورية في Assyria وسورية (لاسوريه) في Syria واكسوماقن في Oxymphion وبوروث أو فروق في Pyrrhon وجاء في التاج نقلا عن لسان العرب في مادة (خ ي ص) : قال الاعشى يهجو علقمة بن علاثة :

لعمري لمن أمسى من القوم شاخصا لقد نال (خيصاً) من عفيرة خائصا

قال الاصمعي : سألت المفضل عن قول الاعشى هذا : ما معنى (خيصاً) ؟ — فقال : العرب تقول فلان يخوص العطية في بني فلان ، أي يقللها . قلت : فكان ينبغي أن يقول : (خوصاً) . فقال : هي معاقبة يستعملها أهل الحجاز ، يسمون الدراع : الديراع . ويقولون : الصيام الصوام . ومثله كثير . اهـ وعندنا من هذه الشواهد ما لا يحصى ، فنجتزىء بهذا البعض من العد ، اراحة للقراء ، اذ كثرتها لا يفيد شيئاً من حقيقته .

اسم الجنس الذي ينتمي إليه هذا السمك واسمهُ كلبٌ والعلمي Barbus esotinus فحذف صدر الكلمة وأخذ بعجزها . ومثل هذا الفعل معروف في لغتنا وكثير الوقوع فيها . فقد قالوا : أدرة والأصل أدرة قيلة Hydrokélé ، وكما تقول اليوم كيلو وسينا والأصل كيلو غرام، وسينما توغراف . وربما فعل سلفنا ما هو بعكس هذا الأمر أي يهملون العجز ويأخذون بالصدر كقولهم المزار وإنما هو هزار دستان ، أو القيلة والأصل أدرة قيلة إلى غير ما هناك من الشواهد

وكان الدكتور أمين المعلوف ، رحمهُ الله ، يذهب إلى أن البز مأخوذ من البسّ بمعنى الهر (٢) وكنا ذهبنا نحن إلى أنه من اليونانية Piscis لكن اليوم نعدل عن هذه الفكرة إلى أنه من بربوس كما تقدم الكلام آنفاً (راجع معجم الحيوان ص ٢٧) و (لغة العرب ٨ : ٤٦٨) ففيهما ما يغني عن التكرار .

٦ — ﴿ اسمه عند الافرنج في الشرق ﴾ الافرنج الذين يترددون الى البلاد التي يرى فيها البز يسمونه Poisson de Tobie أي سمك طوبيا ، اشارة الى هذه الآية الواردة في السفر المنسوب اليه : « وسافر طوبيا ، والكلب يتبعه ، فبات أول منزلة بجانب نهر دجلة . وخرج يغسل رجليه ، فاذا بحوت عظيم قد خرج ليفترسه . فارتاع طوبيا ، وصرخ بصوت عظيم قائلاً : « يا مولاي قد اقتحمني » (سفر طوبيا ٦ : ١ — ٣)

والذي في رواية النسخة السينائية ، وهي نسخة عتيقة يعرفها البصراء من الباحثين : « حاولت أن تلتقم رجله ، فارتاع طوبيا ، لكنه أخرج السمكة من أذنيها ، على أمر الملاك الى الضفة » .

قال العلامة فيكورو Vigouroux ، صاحب معجم التوراة : « ان النص المقدس لا يذكر شيئاً بخصوص حقيقة هذه السمكة والفراتان كثيرا السمك ، وأهالي شواطئهما يقتاتون به منذ زمن طويل فهم يأكلونه غضّاً ومملحاً ومدخناً . ويبيّسونه في الشمس ويسحقونه في هاون ويتخلونه فيغدو كالعجين ، ويقرّصونه ، ويتخذون منه ما يشبه الخبز . وقد ذكر هيرودوتس في كتابه ١ : ٢٠٠ ان البربيس ، (البز) ، والبني ، والجرّيت ، والمرينة ، والسلور تنمو نمواً بديعاً وتعظم في أجسامها في تلك المياه الهادئة ؛ ويرى ضرب غريب من الطريخ لا يقيم في الماء على مألوف عادته ، لكن الموطن القلق لا يخيفه البتة ، فهو يقع على

---

(٢) معنى البس بفتح الباء ... الهر الاهلي والواحدة بهاء ، وذلك ان البز ... يشبه ... كالبس وهو البزون عند عامة ... ولا يخفى ... الاسماك المعروفة — والبز منها — يسمى ... cat fish ... أي السمك ... هذا رأي الدكتور أمين المعلوف . راجع كتابه معجم الحيوان ... ص ٢٧ .

الجروف ، ويتوقل الأشجار بلا صعوبة تذكر ، وينسى نفسه بطيبة خاطر ، منتبذاً العرين الذي يغادره الجزر ، ويتمرّغ فيه متشمساً هناك ، اللهمّ إلاّ اذا أخذ طائر يدنو منه كثيراً فحينئذ يتوغل فيه بلمح البصر » (عن ماسبرو في كتابه التاريخ القديم ١ : ٥٥٦) . وقد ظنّ بعضهم ان سمكة طوبيا كانت سلوراً ، فردّ عليهم آخرون انه لا يحتمل انه يهجم على الانسان . (راجع تريسترام : كتاب التاريخ الطبيعي للتوراة ص ٢٩٣) والنسخة السينائية والولغاتة تتكلمان على سمكة كبيرة والنص اليوناني السكستيني يقول فقط : «سمكة هجمت وقد خرجت من النهر » .

ولا يبعد أن تكون هذه السمكة غير موصوفة وصفاً كافياً حتى قيل انها قفزت من النهر هي الطريفلا ، ولا جرم انها كانت على كل حال ضعيفة ضعفاً مذكوراً ، حتى تمكن الصبيّ طوبيا من جرها اليه من خياشيمها ، وكانت في الوقت عينه كبيرة كبراً كافياً ، ليتخذ منها زاداً يكتفي به مسافران ذاهبان الى الريّ » اهـ .

٧ — ﴿أقوال بعض العراقيين فيه﴾ سألت صديقي الجليل العلامة صاحب المعالي الدكتور حنا بك خياط عنه ، فقال لي ما ملخصه :

اني جولت في العراق من شماليه الى جنوبيه ، ومن شرقيه الى غربيه ، فاتفق لي اني رأيت مراراً البز ، بل مراراً لا تحصى حينما كنت أذهب الى قضاء شؤوني في ارجاء الزابين ، ولاسيما في أنحاء الزاب الأصغر ، حيث يرى أكبر البزوز (جمع بز) ، فرأيته في الماء وفي خارج الماء ، ورأيت صغيره وكبيره ، ورأيته حياً وميتاً . ولما يكون في بطن الماء ، كنت أراه يخرج منه ، ثم يلقي نفسه فيه ، كأنه يحاول أن يتنفس ، كما يفعل البال في البحر ، أو كأنه يحاول الهجوم على صغار السمك التي يراها تعوم على وجه الماء لانه يلتهمها ويأكل أيضاً الحُيَيْـوينات التي ترى في الماء ويبتلع الخضرة والعشب والحطب وما الى نظائرها التي يراها على الساحل ، وكذلك ما يرى فيه من فضلات الطعام وما ينبذ في الماء من النفايات والأقذار المصبوبة .

وأكثر وجود البز الضخم في اغوار الزابين بالزاب : الزاب الأعلى والزاب الأسفل (ويقال لها الزاب الأكبر والزاب الأصغر) وسبب ضخامته هناك كثرة الحُفَر المائية التي ترى هناك ويأنس إليها لابتعاده فيها عن مخاطر المركبين (صيادي السمك) ، وتقصيهم ما يراه فيها من زاده . وثمّ سبب آخر هو : إن ماء الزابين لا يجري بشدة وعنف ، إنما يجري بتؤدة وهوينى ، فلا يندفع هو به مكرهاً ، بل يخلد في مأمنه متلذذاً متنعماً مصمّراً

ومما يأنس به من المواطن ، ما كان منها منبسطاً كالسواعد والنهيرات الضعيفة التي تفرغ مياهها في دجلة وتنتشر هنيئاً في الرابين ، حيث تكثر الخضرة والفضلات والشمبكات .

انتهى هنا كلام الدكتور العلامة الموصلي ولادة، والمقيم اليوم في بغداد .

ثم سألت موصلياً آخر وهو ابني بالروح ، واسمه كوركيس عواد : أتعرف البز وهل رأيت واحداً كبيراً من هذا الجنس ، فقال :

« كنت في صيف سنة ١٩٣٥ عائداً من بغداد إلى مسقط رأسي الحدباء ، (أي الموصل) فوصلت إلى آلتون كُبْري ، فقعدت في قهوة فيها ، وآلتون كبري قرية بين بغداد والموصل وكان الوقت قبيل الظهر ، فاذا بسيارة من سيارات (فورد) الضخمة قدمت ووقفت أمام القهوة ، فنهض أكثر من فيها ليشاهد ما كانت تحمله ، فاذا سمكة ضخمة هي (بزّ) ، وقد أسطيدت بازاب الأسفل ، وكان جسمها قد أحاط بالسيارة كلها حتى بلغ رأسها الآلة المحركة ، وذنبها جاورها منها ، بعد إن التف على السيارة التفافاً تامّاً . فعجب المشاهدون مما رأوا .

وكان طولها ثلاثة أمتار ، وزنتها نحواً من مائتي كيلوغرام ، وأكد جميعهم انهم لم يروا بزّاً هائل العظم مثل هذا الذي رأوه ، » اه

وكتبت رسالة إلى الصديق الحميم في الموصل ، الدكتور داود بك الجلبي وسألته عدة أسئلة عن البز ، واسمه في العلم أو في لغة أفرنجية ، فأجابني بهذه الكلمة التي أعيد نقلها للقراء ، للاستفادة منها وهذا نصها بتاريخ ٢٢ / ١١ / ١٩٤٤ :

« تأخرت قليلاً في الاجابة على كتابكم ، وسبب ذلك بحثي عن اسم البز في إحدى اللغات الافرنجية ، أو بلسان العلم ، ولكن يا للأسف ، فقد خاب سعيي ، ولم أعثر على هذا الاسم في ما عندي من الكتب ، واستعنت ببعض أناس هنا لهم إطلاع على الانجليزية فلم يفيدوني شيئاً ، وأظن السبب هو عدم درس علماء الحيوان (١) لأسماك العراق حتى الآن . فأرجو المعذرة ، وأعدكم بأني إذا عثرت يوماً ما على اسم هذا الحيوان : أخبركم به »

أثناء بحثي عن البز ، تحققت أن المرحوم أمين باشا المعلوف كان واهماً حين سمى في معجمه (معجم الحيوان) البز باسم [illegible] ، فان هذه السمكة ليس فيها من أوصاف البز شيء ، وأظن أن وهم

. . . .

(١) الذي أعلمه أن [illegible] عالماً روسياً درس دروساً حسنة أسماك العراقين منذ نحو [illegible] ولا يزال يدرس ، وهو يكتب أبحاثه بالعربية واللاتينية ، لكنه لم ينشر منها شيئاً بالطبع . وقد بحثت عن محل سكنه فلم أهتد إليه يومئذ ، ثم واصلت البحث عنه ، فوقفت بعد [illegible] فدلني عن اسم البز في نحو أواسط كانون الأول ديسمبر سنة ١٩٤٤ .

أمين باشا هو الذي جعل عبد العزيز مهدي وبشير الوس يغلطان الغلط عينه ، فان لهذين الثانيين كتاباً في علم الحيوان يدرّس في المدارس الاعدادية (في العراق) وقد وضعوا صورة سمكة لها زوائد عند فمها طويلة كالسبال ، وكتبا تحتها انها البز ، وان اسمها الانكليزي (١) « cat-fish » أ هـ

ثم كتبت اليه ثانية لأقول له ان البز مقطوع من اللاتينية القديمة Barbus ، وذلك لأن الرومان ملكوا ديار العراق ، وتركوا فيها من لغتهم ألفاظاً كثيرة لا تنكر .

فكتب الي رداً بتاريخ ٨/١٢/١٩٤٤ ، ما هذا نص عبارته : «لا نستطيع أن نقول ان البز والسمك المعروف بالباربو Barbeau هما واحد . ولو صرفنا النظر عن الفرق العظيم بين جسامتيهما ، لم يسم البربو بهذا الاسم الا لأن له عثنونين في كل جانب من حنكه يشبهان اللحية، وليس للبز عثنونين، انما له عند صامغيه نتوء كالثؤلول (٢) كما في السمكة المسماة بالفرنسية (٣) T. nche ولا أدعي ان البز هو نوع كبير من التنش ، ولكني أقول انه قريب منه جداً . وكلاهما من الصنف المعروف عند علماء الحيوان بالسبرينيدة Cyprinidés هذا ما لا شك فيه » اه كلامه .

وفي رسالتي المذكورة ، ذكرت له ان السمكة التي تعرضت لطوبيا ربما كانت كوسجاً . وهذه السمكة معروفة اسماً وجسماً في نهر بغداد (أي دجلة) والكوسج هو القرش عند غير العراقيين ، وهو كثيراً ما يتعرض لمن يسبح فيه في فصل الصيف ، فأجابني بما يأتي :

لم يذكر أحد قطعاً ان الكوسج قد يصل الى نواحي الموصل (٤) . أما حكاية طوبيا والحوت ، فانظر اليها نظر خرافة لا غير (٥) . قيل في هذه الحكاية : إن طوبيا الصغير ،

---

(١) الذي نراه نحن أن أمين باشا المعلوف لم يخطئ بذكر الاسم العام الانكليزي (كات فش) الذي معناه السمك السنور ، وهو اسم عام يشمل سمكاً عديداً يمتاز بما يشبه شوارب القط عند صاحبيه والبز شيء يشبه ذلك ويصدق عليه هذا الاسم العام لكن الخاص غير ذلك .

(٢) أي فأنا أرى ان البز مقطوع من باربو الفرنسية ، انما هو مقطوع من (باربوس) اللاتينية . وباربوس اسم عام يشمل سمكاً عديداً تختلف صفاته في جميع اللغات باختلاف النوع ويزاد على اسم جنسه الذي يميز بعضه عن بعض .

(٣) اسم هذا السمك الفرنسي يقابله بالعربية اللاز بطاء متروكة ونون ساكنة وراي في الآخر .

(٤) ذكر لي أحد الثقات ، وهو [illegible] انه كان [illegible] وكان يمضي بعض أوقاته في صيد السمك في دجلة الموصل ، واتفق له ان صاد [illegible] كوسجاً . فهذا كلام لا يحقق كلام الدكتور الجلبي رحمه الله .

(٥) [illegible] لا ريب فيه .

أو طوبيت ، بعد أن سار يوماً كاملاً* مع دليله الذي هو في الحقيقة روفائيل الملك وصل شاطىء دجلة ، والحال ان الذي يقصد بلاد ماري من نينوى ، يتجه شرقاً فيبتعد عن دجلة ، واذا فرضنا أنهم قصدوا بدجلة أحد روافده ، أي الزاب ، فلم يذكر أحد أن فيه الكوسج ، واذا فرضنا من غير دليل ان الكوسج كان يعيش في دجلة أو في الزاب قبل ثلاثة آلاف سنة كيف استطاع طوبيت أن يمسك هذا الحوت الضاري الفتاك ويسحبه ويخرجه الى الساحل دون أن يؤذيه . وهل يصدق أن مرارة الكوسج أو البز تشفي البياض في العين وتقلعه [1] ومتى كانت الملائكة أدلة للبشر ؟[2] هذا كله يؤدي بنا حتماً أن لا نعتمد على خرافة طوبيا ونحاول أن نستخرج منها حقائق .

وأما البز ، فلا يهاجم البشر ، وغاية ما يمكنني أن أقوله : إن البز من الاسماك الكاملة العظام Téles toéens من صنف السبرنيدة Cyprinides ولن أسماك العراق لم تدرس الى

---

(١) يقال طوبيا الصغير فهو بالنسبة الى والده الذي يسمى طوبيا الكبير أو طوبيا الاب والوالد ، وكان صبياً نشيطاً وقوياً والدليل انه مشى أربعاً وعشرين ساعة على قدميه ولم يشك من التعب

وأما ان الملائكة ظهرت للبشر وساعدتهم في حاجاتهم فبدأ معتقد اليهود والنصارى والمسلمين كما يرى ذلك مدوناً في كتب معتقدهم .

وأما الاتجاه الى بلد من أي بلدان كانت فقد يكون بطرق شتى وعلى ذلك مثل الفرنسيين ما معناه كل الطرق تؤدي الى رومة وهو قولهم Tous les chemins mènent à Rome ومنهم من يقول : كل طريق يؤدي الى رومة Tout chemin mène à Rome

المراد بدجلة في سفر طوبيا نهر السلام . النهر الكبير وقد رأينا في كل سنة رجالاً وحيوانات ضخمة يتعرض لها الكوسج وقد رأى كاتب هذه السطور كواسج في أعوام مختلفة بحيث لا يحتمل الامر أدنى ريب . وأما انه وجد أو يوجد في أنحاء الموصل ، فهذا ما أكده أحد الثقات تأكيداً لا خلاف فيه . واذا كان لم يذكر أحد من الكتبة هذه الحقيقة الصادقة فليس في هذا ما ينفي الواقع ولا صدق الرواية : فأرباب اليراع لا يذكرون كل ما يقع من الحوادث والانباء . فالكوسج عاش ويعيش وسوف يعيش في دجلة ما شاء الله ربك الخالق .

وأما ان الشاب طوبيا أخرجه من النهر فيد بيده فقد كان قوياً استطاع أن يسير يوماً كاملاً بدون تعب ، وهذا يدل على أسر أعضائه وشدة قوته . ولقد كان الشاب إبراهيم عواد اصطاد مراراً الى ساحل النهر الكواسج التي كان يصطادها في دجلة الموصل

ما مداواة العين بالمرارة فالواقع أثبت الحادث فلا حدس ولا تشكك بعد الواقع

(٢) درست درساً علمياً ذلك لم نتطرق به ذلك الطب إلا حديثاً

الناشئة ، والقرائح الحية الوثابة . وسبب آخر كان من بين هذه العوائق التي حدّت من نهوض الأدب ورقيه . هذا السبب هو الذوق الخاص . فهنالك قوالب خاصة للتعبير تصب فيها المعاني بأساليب قياسية وطرق مرسومة، وهي تنكر الحماسية وتخرجها من حساب الادب، ولا تتناول العاطفة أو الميول النفسية الا لموضوعات علمية مجردة للدرس أو للتحليل . وكانت اللغة من ناحية أخرى تعبر تعبيراً صادقاً عن الاريستوقراطية السائدة أو هي كانت صورة واضحة للملوكية. فن الالفاظ الشريف والنبيل والعظيم والعامي والامي والحقير. ومن الكلمات ما كان يقتصر استعماله على الاغراض الخاصة بالطبقة المحافظة الاريستوقراطية . ومثل هذه اللغة بطبيعة الحال جافة عاجزة عن أداء الانفعالات النفسية خالية من الصور الشعرية العاطفية . ولسنا ننسى أنها بجانب ذلك كانت لغة العقل المجرد والفلسفة التجريدية بوجه عام . وان كانت قد عجزت عن أن تكون لغة الخيال الجامح والاحساس المرهف والعاطفة المشبوبة .

في نهاية القرن الثامن عشر برزت في الأدب، وشاعت في الحياة الأدبية، ظاهرة قوية تعد الى حدّ ما نقطة تحوّل في تيار التفكير الادبي . تلك الظاهرة هي تغليب الشعور والعاطفة على الطابع الأدبي وإشاعة « الحماسية » في الاسلوب . ولقد تقدم ذلك الاسلوب تقدماً محترزاً بجانب تلك الآراء التي كانت تصدر عن العقل المجرد . ومن روّاد هذه الحركة الجديدة في التفكير الادبي جان جاك روسو وشاتو بريان . فقصة «هلويز الجديدة» مثلاً لروسو هي قصة ذلك الحب الذي نشأ ونما بين العواطف الجامحة، والاندفاعات القلبية . ولقد سادت تلك الظاهرة الجو الأدبي كرد فعل . لأن الاندفاع في تيار الحركة العقلية كان قد جدد مذاهب التفكير في دائرة المناقشات والمحاورات الفلسفية والمنطقية ، التي كانت الى حدّ ما تخدع بظاهرها البرّاق ولكنها لم تكن تترك في كل نفس غاية خاصة ترمي اليها أو غرض تقف عنده . وطبيعة تلك المناقشات والمحاورات الفلسفية أو المنطقية أنها مجال للتطور، بل أن الجدل فيها خاضع لمدى تقدم العقل ورقيه . فكلما زادت المعارف العلمية واتسعت رقعتها ، اتجهت الفلسفة وجهات تقتضيها طبيعة التقدم العلمي والرقي العقلي . ولقد أدّت المسائل الفلسفية إذ ذاك الى قلق فكري، وغدا المثقفون والمشتغلون بالأدب يتساءلون أين المستقر؟ قال المثقفون والمشتغلون بالحياة العقلية وبالادب على وجه خاص إن التفكير في المسائل العلمية أو الفلسفية المجردة ، لا يمثل الحياة الفكرية بأوسع معانيها وعمدوا بعد هذا الى خلق ألوان جديدة في الأدب تمثل ميول العصر وأخلاقه ونزعاته وعرف عندئذ الادب الوجداني ، وهو الادب الذي شاع كثيراً في القصص . فأدب القرن الثامن عشر كان يتجه اتجاهاً وجدانياً عاطفياً أو رومانتياً إذا صح هذا التعبير، بينما اتجه أدب القرن التاسع عشر مثلاً اتجاهاً

آخر، فقد تأثر بالمبادىء المادية التي ظهرت في ذلك العصر، وتجد انه تخطى الوجدانيات الى الواقع — فالرومانتزم في جملته وتفصيله هو الادب الغنائي والادب الغنائي يعتمد على النفس وما يعرض لها من العواطف والميول والخواطر ، وقيمة هذا الادب في تغليب « الذاتية » ورجوع كل المطالب الى « ذات » الانسان . وروسو هو الرائد الاول لهذا الادب فهو من غير شك مصدر تلك الحساسية التي شملت فترة من الزمن بلغت فيه العاطفة مبلغاً له تأثيره وقيمته ، بل لقد كانت « الرومانسية » ثورة العاطفة على العقل كما كانت الى حدٍّ ما ثورة الشخصية على القواعد والتقاليد .

الفريد دي موسيه إذن كان كما قلت يقف في الجيل الثاني للحركة الرومانسية ، فقد كان يقل أهمية عن لامرتين والفريد دي فِني وهوجو . كان يقل عنهم شأناً في سعة الخيال وقوة التفكير ، ولكنه كان يفوقهم حساسية وشعوراً وذكاء : بل كان يفوقهم اخلاصاً وسليقة "Spontaniety"

واذا كان البحث يتعلق بحياته فهو جدير بادماجه في كتّاب وشعراء القرن التاسع عشر ، فقد كان حاد المزاج حزيناً ، شهوانياً ، يتأثر تأثراً عميقاً ، كما كان في ساعات هدوئه ، بايماً لبقاً منتشياً ، وبخاصة إذا بدأ يروي القصص . وكان من أكبر قصّاص القرن الثامن عشر من حيث قوة البداهة والفكاهة . كان الفريد دي موسيه عارفاً المعرفة كلها بأدب شاكسبير وبايرون كما كان عارفاً أيضاً بالأدب الايطالي . وكان يكثر من تقليد الايطاليين ، كما كان يحتال على تقليد شاكسبير وبايرون . ولكنه تقليد مشبع بشيء من التصرف والاصالة . والقصائد التي انبعثت منه عن حبٍّ عنيف هي مثل بديع للألم العميق . وتلك عبقرية لا تستطيع بلوغ قمة الفن ، أو النهوض بخصائصها إلى مثالها الادبي الاعلى إلاّ إذا رضخت لشبه صراع أدبي . هي يعز عليها السكون أو التفكير الهادىء ، ترتجف تحمساً — والفن ارتجاف — فهي إذن تتطلب الاحساس صارخة وتستعيد نوبات شقائها ، شاعرة بلذة غريبة في تعذيب نفسها مختارة .. ؟ ! وهكذا كان دي موسيه يستهبط وحي شعره من ألم قلبه ، وينشد روائع شعره في تصص الليلة التي قد يجري فيها ، أو قد يتحقق فيها أن عشيقته قد خدعته مع أحب صديق إليه . كان يحب الكاتبة الأديبة « جورج صاند » وكانت تخونه فلم يكن له ملجأ يلجأ إليه سوى قلبه يأتي به مدوناً على القرطاس لاعجة حياته وجنة هواه .

عرف الفريد دي موسيه جورج صاند في ربيع عام ١٨٣٣ ولقد كان التعارف بينهما قد تمّ في مأدبة أقامها صاحب مجلة العالمين Revue des Deux Mondes جلس إليها ليتحدث دأب كل شاب مع شابة في مثل هذه المآدب . وكان الناقد الكبير سانت بيف صديقاً للطرفين مطلعاً على أسرارهما . وكان « سانت بيف » قد رغب الى صاند أن يعرفها بالفريد دي موسيه .

فأبت لما اشتهر به من اسراف في اللهو والمجون . أما بعد المأدبة فقد عرف كل صاحبه ورأى كل في الآخر الجمال الذي حلم به ، رأى موسيه في صديقته الجمال الذي تمثله وتغنى به في شعره ، رأى عينين سوداوين ، وبشرة سمراء ، وجسماً قصيراً خصباً . ورأت جورج صاند فيه شباباً وسيماً ، لبقاً محدثاً ، فكلها كان دي موسيه إذ ذاك في الثالثة والعشرين وكانت هي تكبره بسبع سنوات . كتب موسيه اليها مرة يقول « ان الاجيال القادمة ستردد اسمينا وتمزجهما كما تمزج أسمى عشيقين خالدين كروميو وجوليت وهيلويز وأبيلار » .

***

عرف هذا الحب في الأجواء الادبية في باريس وغير باريس فقد عرف أيضاً في ايطاليا عندما زار دي موسيه وصاند ايطاليا عام ١٨٣٣ . تحدث عن هذا الحب الادباء والشعراء كما نذكره نحن اليوم ونتحدث عنه . ولعل سبب ذلك شخصية العاشقين وعلو مقامهما في الأدب والأثر العميق الذي تركه هذا الحب في آثارها الادبية ومحاولة كل واحد منهما انصاف نفسه . أما إذا تجاوزنا هذا جميعه . فلا يخرج حبهما عن حادث غرامي عادي مما نشاهده كل يوم على مسرح الحياة . فقد نحب ويخوننا الحب ، ويهجرنا ليرتمي في أحضان حبيب جديد . وقد نتعذب ونبكي ، وقد نصرخ ونصخب . فيظل كل هذا مطوياً في الصدور والقلوب ، ذلك لأنه ليس كل واحد ، جورج صاند أو الفريد دي موسيه ، فيرسل تلك الأنات الطويلة وتنبعث من أعماق قلبه تلك الصرخات المدوية ، في شعر رائع ، ونثر جميل ، هما من الآثار الانسانية الباقية على وجه الدهر .

قد يكون من الخير أن نحلل خلق موسيه وخلق صاند . فقد كتب بلزاك عن جورج صاند يقول : كنت أزورها وأتبادل وإياها الآراء في ساندو (وساندو هذا هو الكاتب جول ساندو أول عشاق صاند وأستاذها في الادب) . ولقد كانت أكثر تعاسة مع موسيه منها معه ، وهي الآن في عزلتها تحكم على الزواج والحب حكماً قاسياً لانها لم تجد فيهما غير ضيعة الآمال وخيبة الرجاء . الرجل الذي تحلم به نادر الوجود . وسيظل نادراً طالما حافظت على خشونة طبعها الذي يجعلها لا تجد بسهولة من يحبها بصدق ووفاء . لهذا نفسية الفتيان ونفسية الفنانين ، ولها نفس أيضاً كريمة عفيفة . شكلها شكل رجل . هذا هو إذن قولنا انها ليست امرأة بحيث لم أشعر وأنا أتحدث إليها في الأيام الثلاثة التي قضيتها معها بأني مضطر الى التحدث إليها في رقة ولين ، كما نتحدث عادة إلى السيدات .. أجل كنت أتحدث اليها كأني أتحدث الى رجل ، وهي ذات فضائل بارزة ، ولكن المجتمع كان ينظر الى صاند من وجهة معكوسة .

« إنها من حيث الأخلاق مثل شاب في العشرين من عمره، فهي عفيفة حريصة، وهي فتانة في مظهرها وكانت تدخن كثيراً وترغب في الظهور بمظاهر الامارة والوجاهة . وأخيراً هي رجل لأنها تريد أن تكونه، ولأنها خلعت عن نفسها شخصية المرأة فزالت عنها أنوثتها فالمرأة جذابة أما هي فنفرة !

« ولقد قال عنها » الكاتب الكبير شارل موراس : في كتابه « عشاق البندقية » دعوسيه وصاند Les Amants de Venise لا سبيل الى أنكار مقام صاند العالي بين كتاب عصرها. وليس من الصعب على الأجيال المقبلة أن تنتزع من مؤلفاتها الكثيرة صفحات جميلة بارعة . كانت ذات نفس كبيرة كريمة مضيافة، أي انها كانت لا تستطيع الاحساس بما يسمونه العامة الحب. وهناك فئتان من الناس تستطيعان هذا الاحساس بالحب . إما لنضوب العاطفة وإما لفيضها . عاشت حياتها كلها ممتزجة كل ما حولها باحساس قلبها . أو قل انها أحبت العالم وشغفت به . كانت تعشق كما لو كانت تتمتع ببعض مناظر الطبيعة من كل منظر طريف يستهوي العقل والقلب . لذلك لم تجد في الحب المتعة واللذة . أما العشاق فكانوا يبهتون أمام نفسها الهادئة التي كانت تعني بسعادتهم . ولقد أجمع عارفوها على أنها كانت حمقاء وغير جذابة في حديثها وانها كانت تظل صامتة . أما العبقرية فقد كانت تتجلى في عينيها الجميلتين اللتين احتفظتا بسحرها حتى في أطوار الشيخوخة .

أما الفريد، دي موسيه فقد قال عنه شارل موراس، انه كان ابن جيله وعصره : نشأ عصبي المزاج، حاد الطبع، الى حد يقرب من الجنون، وشب سكيراً يدمن الشراب وعابثاً يلهو بالشباب والنساء، فلا يجد فيهن غير أداة متعة ولذة . ومقامراً يلعب حتى آخر درهم وحتى يخرج خالي الوفاض. وكان الى شاعريته العظيمة نقاداً بصيراً بمحاسن الحياة وأنواع الجمال وروائع الادب . كان يجمع الاضداد في نفسه. فبينما هو طيب القلب رفيق الحاشية محب للناس متواضع النفس على بساطة طبع وسلامة نية، اذا هو وكأن به شيطاناً يجعله شرساً متكبراً قاسياً كثير الظنون كثير الصخب ذا أثرة وعنت . أضف الى هذا تلك اللذة الكبيرة التي كان يجدها في الألم والحزن . ولقد جرى على نحو غريب هو ألاّ يعشق رغبةً في الحب، بل رغبة في الالم والوجيعة يبحث عنهما فلا يقر قراره إلاّ اذا ظفر بهما . ولقد جرى له أن صادف في حياته حباً هادئاً مطمئناً ؛ فما لبث أن مله قلبه فصدّه عنه.

***

وابدع وصف لموسيه في لغتنا العربية ما قاله عنه الشاعر الكبير خليل مطران من قصيدة له :

عاش هذا الفتى محبًّا شقيًّا وقضى نحبه محبًّا هقيًّا
وبكى دمع عينه في سطور جملته على المدى مبكيًّا
منشد للغرام لم ينشد إلاَّ كان إنشاده نواحاً شجيًّا
شاعر كان عمره بيت تشبيب وكان الأنين فيه الرويَّا
ان في نظمه خطًّا لطيفاً باقياً منه في السطور خفيًّا

كانت فترة التعارف والصلة بين موسيه وصاند قصيرة لأن صاند كتبت في صيف هذا العام الى « سانت بيف » تقول له ان الحب قد جمع بينها وبين موسيه وانه في حل بأن يذيع الخبر الى الاصدقاء . وما لبث موسيه أن انتقل الى منزل صاند الذي كان في شارع « رين » نمرة ١٩ فأقام معها . هذا في أغسطس عام ١٨٣٣ . ثم انتقلوا الى ضاحية « فونتنبلو » فأقاما خمسة عشر يوماً يقال أن اثناءها ابتدأ الخلاف بين العشيقين . على أن الرّواة يختلفون في هل كان بدء هذا الخصام في تلك الضاحية ، أم في باريس . وهم يذكرون أن موسيه رأى في أحد الايام وهو جالس في الغابة المشهورة . شبحاً يمر أمامه فظنه صورته في طور الشيخوخة . وقد نال منه الادمان والعبث والدعر فاضطرب وانطرح أرضاً كأن به مسًّا . وقد استوحى موسيه بعد هذه الرؤيا قصيدته (ليلة ديسمبر) أما الخصام فقد دبَّ بين العاشقين لاختلاف الرأي والعقيدة والاخلاق . فلقد كانت صاند ثائرة على الأوضاع الاجتماعية دؤوبة على العمل في جد واجتهاد ، بينما كان موسيه محافظاً محترماً للتقاليد محبًّا للاناقة والظهور كسولاً قليل الانتاج أضف الى هذا اختلاف تباين السن إذ كانت تكبره بست سنوات ولم يلبث الخلف أن تعدى حدود ما تثيره الحياة بين أديبين مختلفين ذوقاً وأخلاقاً الى ماضي صاند . كان موسيه في أوقات ثورته ينعي عليها زواجها ويذكرها بعشاقها الذين أحبتهم قبله . ويعيرها بحياتها الخاصة ويشتد في تعنيفها ثم تخمد ثورته وتهدأ ، ويثوب الى رشده . فاذا ما انتهت تلك الثورة عاد اليها يسترضيها ويستغفرها فترضى عنه وتغفر له . ولما ضاقت بهما الحياة بباريس بـ[illegible] أصدقائهما الذين كانوا يعيدون الى ذهن موسيه ماضي عشيقته استقرَّ رأيهما على السفر الى البندقية لعلَّ الابتعاد عن الوسط الباريسي ينسيهما شقاءهما ، ويفسح الحب [illegible] أوسع . وذهبت صاند الى والدة موسيه فاستأذنتها في سفر ابنها واعدة أن تعني به عناية الأم بابنها وهكذا كان .

سافرا الى البندقية في احدى ليالي ديسمبر المظلمة وما كادا يصلان اليها حتى أصيبت صاند بمرض ألزمها الفراش خمسة عشر يوماً فكان سبباً في اثارة الخصام بينهما من جديد .

كان موسيه يقضي النهار وشطراً من الليل في زيارة المدينة والسهر في حاناتها ، ومغازلة نسائها الجميلات فاذا عاد في ساعة متأخرة أمطر صاند وابلاً من اللوم والعتاب ذاكراً لها انه لم يأتِ الى البندقية ليعني بمرض بل ليتمتع بما في المدينة من جمال ولذة وانتهى بأن أوصد الباب الذي يصل غرفتيهما .

أبلت صاند من مرضها ولم تكد تسترد صحتها حتى مرض موسيه واشتدت عليه الوطأة فلجأت صاند الى الطبيب الذي عني بها في مرضها . وكان شديد الحياء يكاد يجهل الفرنسية وكان يقضي نهاره ملازماً صاند ، وكانت الاديبة الفنانة قد تاقت نفسها الى تذوق لذة الحب في البندقية مدينة اللذة والحب فلم تجد لديها غير هذا الطبيب الشاب لأنها كانت لا تغادر المنزل الذي كانت تسكنه لعناية بالمريض .

هذه الاديبة الفنانة كانت إذن تعيش بين رجلين ، ويتجاذب قلبها عاملان ، فالواجب يدعوها الى العناية بالمريض ، وحب اللذة والاغراء يدفعانها الى ذراعي الطبيب . ولقد بحث الكتّاب طويلاً في سر هذه الليالي الطويلة . قالوا ان موسيه كان اذا ثاب اليه رشده وفارقته الحمى وجد صاند والطبيب « باجيلو » يتبادلان القبل اللذيذة الى جانب سريره ظنًّا منهما انه نائم فهل كانت هذه الرؤية حقيقة أم هذيان محموم ؟ على انهما اذا لم يتبادلا القبل أمام موسيه فانهما تساقيا كؤوس الغرام صافية بعيدين عنه .

***

شفي موسيه من مرضه . فعاودته وساوسه وعاد الى خصامه ، ويروى انه حاول مرّة قتل صاند وانه طلب باجيلو للمبارزة ، وأنّ صاند حاولت الانتحار .

وقيل لموسيه ان به مسًّا لادمانه الشراب وأسرافه في معاشرة بنات الهوى ، فرضي بهذا التفسير لمزاجه العصبي ، وعدّ نفسه مسئولاً عن الحياة البائسة التي عاشتها صاند وصديقه الطبيب ، فبارك حبهما ، وقفل راجعاً الى باريس وهو قرير البال مرتاح الضمير ، بأنه قدّم نفسه ضحية على مذهب الحب .

عاد الى فرنسا في مارس عام ١٨٣٤ طاوياً في صدره وفيقين غريبين « حزن وفرح » لا آخر لهما . أما الحزن فلانه فارق عشيقته التي لا يزال يحبها . وأما الفرح فلأنه استطاع أن يطمئن الى سعادتها في كنف عاشق جدير بها .

جرت القطيعة بين موسيه وصاند ولكنهما ظلا يتبادلان الرسائل ولقد وصلت هذه

الخطابات بعضها كما كتبت ، وبعضها منقح بتصحيح لأن صاند طلبت بعد هذه الحوادث التي ترويها الى موسيه أن يبعث خطاباتها ففعل . فغيرت فيها ما غيرت بينما تركت رسائله كما كتبها . ظلّ يتراسلان حتى عادت صاند الى باريس في شهر أغسطس من ذلك العام وقد جاء معها باجيلو . وشاء موسيه أن يلتقي بها بعد أن راجعته ذكريات حبه القديم فقبلت جورج صاند . ووافته في الموعد المضروب . وعلم باجيلو بهذا فرأى نفسه غريباً بين هؤلاء الأدباء والفنانين فتركهما وشأنهما وقفل راجعاً الى بلده ، واتصل العاشقان من جديد ولكن هذا الصلح لم يدم طويلاً . فقد ظلَّ بين نفور ووئام ، وصلح وخصام . ولقد حل الحب صاند مرة الى أن تقص شعرها وتعطيه الى موسيه وفاء لحبها . ولقد كان أصدقاؤها وبخاصة سانت بيف وفرنسوا بوانوه موضع سرها : ووصل الصلح بينهما . ولكن القلوب اذا تنافر ودها كما قال الشاعر العربي ... وفي مارس ١٨٣٥ هجرت صاند موسيه وسافرت الى نوهان .

***

كان هذا نهاية الحب . وحوادثه المزعجة المثيرة وبدأ بعد ذلك عهد آخر هو عهد الأدب والكتابة . كان موسيه قد وعد صاند أنه لن يموت قبل أن يؤلف عنها كتاباً كما كان يقول لها انه سوف لا ينبت على قبرها غير الزنبق الأبيض الطاهر لذلك كتب موسيه بعد هذه الحوادث قصته المشهورة اعترافات فتى من فتيان العصر Confession d'un Jeune Homme du Siècle . وقد مثل صاند في شخصيتين مختلفتين شخصية العشيقة المستهترة الخائنة وشخصية الصديقة الوفية الطاهرة الذيل الأمينة العهد . فكتبت صاند ترد على قصته بأخرى بعنوان Elle et Lui ثم كتب بعث آخر عنوانه Lui et Elle ذكر فيه «دي موسيه» باعتباره الشخص الثالث في قصة هذا الحب . ونظم موسيه أروع قصائده في ذكرى صاند . فالليالي — اكتوبر — ديسمبر والذكرى وخطاب الى لامرتين والى أخي بمناسبة عودته من ايطاليا — من أجمل الشعر الذي نظمها موسيه في حبه كما كتبت صاند في ذلك الحب غير القصة التي ذكرنا « ليليا » وخطابات مسافر .

***

أما قصيدة « ليلة مايو » فقد نظمها موسيه يوم ٦ مايو ١٨٣٥ في المنزل الذي كان يسكنه مع أمه وأخته .

كان موسيه قد تهى يوم ٦ مايو في حديقة التوليري وعاد الى منزله في المساء . وقد انتشى

من عبق الأزهار وجمال الربيع وما يوحيان للنفوس الشاعرة من آمال جديدة . وكان يردد الأبيات الأربعة الأولى من القصيدة وهي التي تخاطب بها إلهة الشعر الشاعر « أيها الشاعر خذ قيثارتك وهيء قبلة ... » فدخل غرفته وجلس أمام مكتبه بعد أن أنار اثنتي عشرة شمعة ، وأخذ ينظم قصيدته فما أتى الصباح حتى كان قد نظم المائتي بيت من الشعر التي تألفت منها القصيدة .

التفسير السيكولوجي

ان قصة ديموسيه وصاند تمثل الصراع الحديث بين المرأة والمجتمع . فديموسيه كان يلهو بصاند، ويرى فيما بينه وبين نفسه انها طفلة غير مسؤولة . هو كان يلهو بها ويكاد لا يعترف بوجودها أو بحقها في الحياة الزوجية أو في طبيعة مسؤوليتها في هذه الحياة . فقد كان يهملها ليرى ويسعد بالنساء الجميلات في البندقية. وكان إذا فرغ من لهوه عاد الى منزله لينكر وجود صاند وهذه النظرة المهينة من ديموسيه لصاند فيها الحرج كل الحرج لها ولكرامتها كامرأة . وهذه النظرة هي التي حفزتها الى الهروب من الحياة المهينة . فدفعتها الى حب «باجيلو» وهي تعلم انها زوج لديموسيه . هي تريد أن تنكر ذلك الواقع الذي يؤلمها والذي يجعل حياتها ملتوية معقدة ، وهي تحلم بحياة جديدة ، فاذا ما وفقت الى تحقيق هذا الحلم فقد خرجت من نطاق الزوجية الى حيث الحياة الكريمة التي تفكر فيها أليست « صاند » هذه تمثل تلك المرأة التي خلقها « إبسن » في درامته « بيت الدمية » . أليست هي المرأة التي تفرض لها وجوداً معيناً في الحياة.بل أليست هي المرأة التي تريد أن تثبت شخصيتها وترى « أن الشخصية » شيء ثمين في المجتمع الانساني ينبغي أن تحصل عليه المرأة مهما استطاعت الى ذلك سبيلا ؟

حليم متري

المراجع

(1) French Literature by Saintsbury
(2) Edward Dowden a history of French literature
(3) Amours Célèbres de Lettres par Emile Faguet
(4) الشعر قصص الحب التاريخية لسلامة موسى
(5) شاعر — ... الشعر ...